



## الاتساق الصوتي في تفسير البحر المحيط

The phonetic consistency in Interpretation of the Ocean Sea

د. الزهرة يعقوب

جامعة عبد الرحمن بن خلدون- تيارت

الجزائر

تاريخ الإرسال: 2019/02/28 تاريخ القبول: 2019/05/21 تاريخ النشر: 2019/06/15

ملخص:

يُعدّ المكون الصوتي مظهرا من مظاهر تماسك النص القرآني، فيتحقق اتساقه شكليا وانسجامه معنويا، وقد اعتمد أبو حيان في تفسيره البحر المحيط على آليات متعددة للكشف عن تلك التوازنات الصوتية منها تغيير فونيم الحركة والوقف والإدغام والتنغيم وغيرها من الآليات .

الكلمات المفتاحية: النص القرآني؛ تغيير فونيم الحركة؛ الوقف؛ الإدغام؛ التنغيم.

### Abstract:

Phonetic component is a manifestation of the Quranic text coherence, consistency checks formality and harmony spiritually, Abu Hayyan has adopted in its interpretation sea ocean multiple mechanisms to detect those audio balances Her change phoneme movement and halting and slurring and toning and other mechanisms.

**Keywords:** the Qur'anic text ; Interpretation of the Ocean sea; Phoneme movement; halting; slurring ;toning .

## مقدمة :

يقف المتتبع لمنهج أبي حيان في تفسير البحر المحيط على مجموعة من الإجراءات والآليات التحليلية والتفسيرية للنص القرآني، منطلقاً من المكون الصوتي وما تُحدثه الاختلافات القرآنية للقراء العشر والقراءات الشاذة في توجيه المعنى، وكذا دراسته للفظة القرآنية في مستواها المعجمي أولاً بعيداً عن السياق، وثانياً علاقة تلك اللفظة بالتركيب الجملي ثم التركيب النصي، وما يطرأ عليها من تغييرات.

أ- تغيير فونيم الحركة: استند أبو حيان في تحليلاته الصوتية لتغيير فونيم الحركة إلى القراءات القرآنية ودلالة الإعراب التي يُلاحظ في توجيهه للقراءات القرآنية وتحليله الإعرابي اتجاهها معنويًا، يراعي فيه ترابط عناصر النص القرآني، وذلك من خلال:

## 1- دلالة الحركة الإعرابية:

تؤدي الحركة الإعرابية دوراً مهماً في تحديد المعنى وتوجيهه، وهي المائز لمواقع مفردات التركيب وبيان أوجه إعرابها، وهي أثر من آثار نظرية العامل "وما الفاعل إذا رفع، أو المفعول إذا نصب، أو المضاف إليه إذا جر إلا سبب من العامل"

حيث بنى النحاة منهجهم في النحو عليه، ولم يكن أبو حيان بعيداً عن هذا المنهج، ولم يخرج عنه، وهو النحوي الذي اشتهر بكثرة مؤلفاته النحوية، فجعل تفسيره البحر المحيط ميداناً رحباً ليطبق فيه منهجه النحوي خصوصاً واللغوي عموماً، ويؤكد من خلال هذا الربط بين التفسير واللغة على أن النص القرآني لا يفسر بمعزل شكله وبنائه عن مضمونه، فمن لم يدركه، لم يدرك جمال بناء النص القرآني وسر إعجازه. قال أبو حيان: "وأما من اقتصر على غير هذا من العلوم أو قصر في إنشاء المنثور والمطلوم، فإنه بمعزل عن فهم

غوامض الكتاب، وعن إدراك لطائف ما تضمنه من العجب العجاب، وحظه من علم التفسير إنما هو نقل أسطار، وتكرار محفوظ على مر الأعصار<sup>(1)</sup>. وبالعودة إلى دلالة الإعراب في تفسير البحر المحيط، نجد أن أبا حيان اتخذ تصورا شموليا في تحليله للأوجه الإعرابية بانتقاله من الإعراب الجزئي في أواخر الكلم إلى معرفة معاني الألفاظ والتراكيب من خلال تمييزه للعناصر اللفظية وتحديده للوظائف اللغوية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية، وقد يستعين بالمقام في تحديده للمعنى، وهو ما اصطلاحنا عليه المعنى المقامي أو التداولي.

2- المعنى الصرفي: قد يكون للعلامة الإعرابية أثر في تغيير الصيغة الصرفية وتحول معناها في السياق. من ذلك ما جاء في تفسير البحر المحيط في كلمة "أحسن" في قوله تعالى: "ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ" (سورة الأنعام، الآية: 154)، فإذا قرئت بالفتحة على أنها فعل ماض مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه دلت على الفعلية، قال أبو حيان: "وفي أحسن ضمير مستتر أي: تماما على إحسان موسى بطاعتنا، وقيامه بأمرنا ونهينا...وقيل الضمير في "أحسن" يعود على الله تعالى"<sup>(2)</sup>. وإذا قرئت بالضممة على قراءة من قرأ برفع النون تصبح كلمة "أحسن" اسما وخُرج على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هو أحسن"<sup>(3)</sup>.

فالحركة الإعرابية كان لها أثر في الانتقال من الفعلية عن طريق فونيم الفتحة إلى الاسمية بفونيم الضمة، وبذلك صرفت المعنى إلى معنى جديد بما يقتضيه الترابط النحوي أو التركيبي، نحو قوله تعالى: "إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ" (سورة الذاريات، الآية: 25). قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور قالوا سلاما بالنصب على المصدر الساد مسد فعله المستغني به، قال سلام بالرفع، وهو مبتدأ محذوف الخير تقديره: عليكم السلام قصد أن يحييهم

بأحسن ممّا حيوه، أخذنا بأدب الله تعالى، إذ سلام دعاء، وجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي أمري سلام وسلام جملة خبرية قد تحصل مضمونها ووقع<sup>(4)</sup>. فحركة النصب أو الرفع أثرت على التركيب كله وأحدثت اتساقا نصيّا من خلال معنى أنّ "الرفع الذي يدل على الثبوت والاستقرار، والنصب على التجدد والحدوث"<sup>(5)</sup>، وهذا ما أكدّه فيما سبق في تفسير قوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (سورة الفاتحة، الآية:01). قال: "وقراءة الرفع أمكن في المعنى، ولهذا أجمع عليها السبع لأنّها تدل على ثبوت الحمد واستقراره لله تعالى؛ فيكون قد أخبر بأنّ الحمد مستقر لله تعالى أي حمده وحمد غيره"<sup>(6)</sup>.

أما النصب، فيكون فيه التخصيص ويشعر بالتجدد والحدوث، ذلك أنّ في "نصب الحمد هنا فلا بد من عامل تقديره أحمد الله أو حمدت الله، فيختص الحمد بتخصيص فاعله، وأشعر بالتجدد والحدوث، ويكون في حالة النصب من المصادر التي حذفت أفعالها، وأقيمت مقامها"<sup>(7)</sup>.

وقد تساهم العلامة الإعرابية في تحول معنى الكلمة من الإسمية إلى الحرفية، كقوله تعالى: "وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى" (سورة طه، الآية:69). فتكون ما إمّا اسماً موصولاً وبالتالي ترفع "كيد" على أنّها خبر إنّ "وإمّا حرفاً لإنّ مهيباً، فتكون كلمة كيد بالنصب على أنّها مفعول لصنعوا<sup>(8)</sup> فالمعنى حددته الحركة الإعرابية في لفظ كيد بالرفع أو النصب من خلال معنى الخبرية أو المفعولية.

فتغير الحركة الإعرابية كان المؤشر إلى أنّ هذا اللفظ بهذا المعنى لا بذلك، وهو ما يحدث اتساق التركيب بهذا الوصف.

وقد تحدث العلامة الإعرابية توجيهاً في المعنى من المجهول إلى المعلوم يتناسب مع دلالة النص واتساقه، كقوله تعالى: "وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِئْسَ الْجَنَّةَ خَالِدِينَ فِيهَا" (سورة هود، الآية:108). يقول أبو حيان: "قرأ الحسن (شقوا) بضم الشين، والجمهور بفتحها، وقرأ ابن مسعود وابن وثاب وحمزة

والكسائي ، وطلحة بن مصرف والأعمش وحفص سُعدوا بضم السين وباقي السبعة والجمهور بفتحها... من قرأ (سُعدو) فهو محمول على مسعود، وهو شاذ قليل، لأنه لا يقال: سعده الله، إنما يقال: أسعده الله، وقال الثعلبي: سعد وأسعد بمعنى واحد، وانتصب عطاء على المصدر، أي: أعطوا عطاء بمعنى إعطاء كقوله تعالى: "وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا" (سورة نوح، الآية: 17) أي نباتا، ومعنى (غير مجذوذ) غير مقطوع، بل ممتد إلى غير نهاية"<sup>(9)</sup>.

فالواضح أنّ أبا حيان علّل قراءته بالبناء على المعلوم (سعدوا) استنادا على النصّ بكليته.

2- المعنى المعجمي: يستند أبو حيان في تحديد الحركة الإعرابية من خلال المعنى المعجمي الذي يشير إلى معنى الكلمة أو اللفظة بالنسبة لمدلولها الذي تدل عليه -الكلمة بعيدا عن السياق- ومن ذلك قوله تعالى: "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (سورة البقرة، الآية: 37). فالتلقي "الاستقبال والتعرض للقاء، ومعنى تلقي الكلمات أخذها وقبولها، أو الفهم، أو الفطنة، أو الإلهام أو التعلم والعمل بها، أو الاستغفار والاستقالة من الذنب، وأدم رفع تلقي وكلمات نصب بها"<sup>(10)</sup> على الفاعلية والمفعولية.

وقد أحدثت العلامة الإعرابية تحولا في المعنى للآية من الفاعلية إلى المفعولية أو العكس، فقراءة "نصب آدم ورفع كلمات" توضح من معنى الفعل تلقي، قال: "ومعنى تلقي الكلمات لأدم: وصولها إليه، لأنّ من تلقاك فقد تلقيته، فكأنّه قال: فجاءت آدم من ربه كلمات لأدم: وصولها إليه، لأنّ من تلقاك فقد تلقيته، فكأنّه قال: فجاءت آدم من ربه كلمات"<sup>(11)</sup>

3- المعنى النحوي: تشير العلامة الإعرابية إلى الأثر الذي تحدّثه في أواخر الكلم، لأنّ الإعراب الذي هو بيان لكلمة ما أو لجملة "بتغيير أواخر الكلام بحسب مواقعها في التركيب"<sup>(12)</sup>، فمن خلال العلامة الإعرابية يمكن توجيه المعاني التي تؤثر على الفهم السليم للتركيب اللغوي، لكن قد يلتبس لدى

المتلقي دلالة العلامة الإعرابية بسبب تعدد الوظائف اللغوية لكل علامة، ف"الضمة هي الحركة التي تظهر في المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل، واسم كان وخبر إنَّ والتابع المرفوع...والفتحة ترى في نهاية المفعولين والحال والمستثنى والتمييز"<sup>(13)</sup>.

وهذا ما نلمس وروده كثيرا عند أبي حيان في بحره، بالتعرض إلى بيان الأوجه المتعددة لكلمة ما ثمّ ترجيح أحد المعاني، كقوله تعالى: "وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ" (سورة البقرة، الآية: 88) فقد حصر أوجه إعرابها في خمسة أوجه<sup>(14)</sup>:

- 1- نعت لمصدر محذوف التقدير: إيماننا قليلا يؤمنون.
  - 2- نعت لزمان محذوف التقدير: فزماننا قليلا يؤمنون.
  - 3- حال من مصدر محذوف التقدير: الإيمان في حال قلبه.
  - 4- حال من الفاعل وهو الجماعة" التقدير: فجمعنا قليلا يؤمنون.
- أي: المؤمن منهم قليل.

5- مفعول له يؤمنون قليلا يؤمنون

ويلاحظ أنّ أبا حيان استند في تخريجاته على بنية الفعل ودلالته مرجحا المعنى الأول، قال: "والأحسن من هذه المعاني كلها هو الأول، وهو أن يكون المعنى إيماننا قليلا يؤمنون لأنّ دلالة الفعل على مصدره أقوى من دلالته على الزمان، وعلى الهيئة، وعلى المفعول وعلى الفاعل لموافقته ظاهر قوله تعالى: "فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا" (سورة النساء، الآية: 46)"<sup>(15)</sup>

ومن ذلك أيضا، قوله تعالى: "صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ" (سورة البقرة، الآية: 138) فكلمة صبغة (الثانية) لها أوجه متعددة<sup>(16)</sup>، هي:

- 1- منصوبة على التمييز التقدير: ومن صبغته أحسن من صبغة الله؟
- 2- منصوبة على البدل (ملة إبراهيم) ← التقدير: عليكم صبغة الله.

3- منصوبة على أنها مصدر مؤكد صبغة الله صبغة.

4- منصوبة على الإغراء — للتقدير: الزموا صبغة الله.

ونجده يرجح الانتصاب على أنها مصدر مؤكد، ويؤد قول من زعم أن صبغة الله بدل وتمييز ولإغراء، وذلك "لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التثامه واتساقه"<sup>(17)</sup>.

وهذا يعني أن أبا حيان بتطرقه إلى تعدد الأوجه الإعرابية لكلمة "صبغة" ورد بعضها وترجيح نصبها على التوكيد ناتج من نظرتة النصية لأطراف الآية اللاحقة والسابقة، قال أبو حيان: "وانتصاب صبغة هنا على التمييز وهو من التمييز المنقول من المبتدأ، وقد ذكرنا أن ذلك غريب أعني نص النحوين على أن من التمييز المنقول تمييزا نقل من المبتدأ، والتقدير: ومن صبغته أحسن من صبغة الله؟ فالتمييز لا يجرى بين الصبغتين لا بين الصابغين ونحن له عابدون متصل بقوله آمنا بالله ومعطوف عليه، قال الزمخشري: "وهذا العطف يرد قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملة أو نصب على الإغراء عليكم صبغة الله"<sup>(18)</sup>،<sup>(19)</sup>.

4- المعنى الدلالي: يتفرع المعنى الدلالي حسب رأي تمام حسان إلى

فرعين<sup>(20)</sup>:

أولهما: أ- المعنى المقالي: ويضم نوعين:

1- المعنى الوظيفي: وهو المباني التحليلية، أي معنى وظيفة المبني (الشكل) على مستوى النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي، فهو حصيلة هذه الأنظمة الثلاثة.

2- المعنى المعجمي: وهو معنى الكلمة المفردة كما في المعجم.

ب- المعنى المقامي: وهو معنى المقال منظور إليه في المقام.

فالمعنى الدلالي هو نتيجة للمعنى المقامي والمقالي أي من خلال تضافر المعنى اللفظي والسياقي.

وبالنظر إلى تفسير أبي حيان، نرى بأنّه استعان بالعلامة الإعرابية للوصول إلى المعنى الدلالي، وهذا من خلال ظاهرة القطع التي تشكل "آلية مهمة في تغيير الحركة من جانب وظيفي إلى آخر، بفعل المعنى الدلالي"<sup>(21)</sup> فالقطع قد يعدل به عن الإتياع في الحركة الإعرابية "لأداء معنى لا يتم

بالإتياع، فهو يلفت نظر السامع إلى النعت المقطوع، ويثير انتباهه، وليس كذلك الإتياع، وذلك أنّ الأصل في النعت أن يتبع المنعوت، فإذا خالفت بينهما نهت الذهن وحركته إلى شيء غير معتاد، فهو كاللافتة أو المصباح الأحمر في الطريق، يثير انتباهك ويدعوك إلى التعرف على سبب وضعه، فهذا التعبير يراد به لفت النظر، وإثارة الانتباه إلى الصفة المقطوعة، وهو يدل على اتصاف الموصوف بهذه الصفة حيث بلغ حدا يثير الانتباه"<sup>(22)</sup>.

فمخالفة الحركة الإعرابية على غير المتوقع من السامع يهدف به إلى إحداث المفاجأة والإثارة، وبمعنى آخر التغيير المفاجئ في البنية السطحية الذي أحدثته الحركة الإعرابية أثار انتباه السامع لتركيب غير مألوف.

وبذلك فالقطع أو النعت المقطوع يدفع بالسامع إلى الانتباه إلى مواضعه والكشف عن جمل جديدة، الغرض منها المدح أو الذم أو الترحم<sup>(23)</sup> فهو يعبر عن آلية اتساقية تواصلية تعكس مقصدية المتكلم في نقل رسالته إلى المتلقي بما تثيره الحركة من لفت انتباهه إلى التغيير من أسلوب النعت إلى أسلوب القطع الذي يندرج ضمنه المدح والذم والترحم، بحيث إنّ هذا الانتقال "من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه، وأملاً لاستدراب اصغائه"<sup>(24)</sup>.

والتأمل في تفسير البحر المحيط، يتبين له أنّ أبا حيان وجه المعاني إلى القطع في مواضع الآيات الدالة على "التشريع والعبادات، ومواطن الترغيب والترهيب"<sup>(25)</sup> لأنّ غرضه التركيز على التحول الحاصل على اللفظ المقطوع من خلال التأكيد على معناه، كقوله تعالى: "لَكِنَّ الرّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ



وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ غَوَامِقِيمِينَ الصَّلَاةَ  
وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" (سورة النساء، الآية:162).

قال أبو حيان: "وانتصب (المقيمين) على المدح، وارتفع (المؤتون) أيضا على إضمار (وهم) على سبيل القطع إلى الرفع. ولا يجوز أن يعطف على المرفوع قبله، لأنّ النعت إذا انقطع في شيء منه لم يعد ما بعده إلى إعراب المنعوت، وهذا القطع لبيان فضل الصلاة والزكاة فكثير الوصف، بأن جعل في جمل" (26). فالقطع الذي أحدثته العلامة الإعرابية كان نتيجة لمقام المدح في بيان فضل الصلاة والزكاة.

وكذلك قوله تعالى: "حَمَّالَةَ الْحَطَبِ" (سورة المسد، الآية:04)، قال أبو حيان: "وفي قراءة النصب انتصب على الذم" (27). وهذا يبين ما كانت تمارسه امرأة أبي لهب من حمل الحطب لتؤدي بإلقائه في طريق الرسول - ﷺ - والصحابة الكرام رضوان الله عليهم فذمت (28). فكانت العلامة الإعرابية سبيلا لتأكيد هذا المعنى.

وقد وجهت العلامة الإعرابية توجهها دلاليا من خلال مقام التعجب في قوله تعالى: "الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ" (سورة غافر، الآية:35)، قال أبو حيان: "وفي قوله كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدهم، والشهادة على خروجه عن حدّ إشكاله من الكبائر" (29). وبالتالي فالعلامة الإعرابية أحدثت زعزعة في التركيب السطحي الذي من خلاله أيقظت انتباه المتلقي وعكست مقصدية المتكلم، فكانت آلية اتساقية ساهمت في تحديد المعنى وتوجيهه للتركيب الجملي ومنه التركيب النصي.

ب- الوقف: هو إجراء صوتي يقوم على فصل السلسلة الكلامية بعضها عن بعض من خلال "قطع الكلمة عمّا بعدها أي أن تسكت على آخرها

قاصدا لذلك مختارا؛ لجعلها آخر الكلمة، سواء كان بعدها كلمة أو كانت آخر الكلام<sup>(30)</sup>.

وهذا الإجراء الصوتي لا يكون عبثا، بل هو قائم على منهجية علمية "ترشد قارئ القرآن إلى مراعاة وقوفه حرصا على اتساق المعنى وسلامة اللغة، ليعين بأدائه ذلك على تحقيق الغرض الذي من أجله يقرأ القرآن، وهو الإدراك"<sup>(31)</sup>.

من منطلق الحرص على اتساق المعنى وسلامة اللغة، يتبين لنا أن الوقف ينقسم إلى وقف أساسه مراعاة المعنى، ووقف قوامه اتساق التركيب اللغوي، ووقف يجمعهما معا. ومن خلال هذه الأقسام الثلاثة تباينت واختلفت فروعه، "فقليل: تام وكاف وقبيح وغير ذلك"<sup>(32)</sup>.

وبالنظر إلى تفسير البحر المحيط، نجد أن أبا حيان، قد أدرك الأثر الذي يؤديه الوقف في اتساق التركيب وانسجام المعنى في النص القرآني، ويمكن إبراز بعض ملامحه في ضوء اتساق التركيب اللغوي ومراعاة المعنى فيما يأتي:

### 1- الوقف واستقلالية التركيب اللغوي: ونقصد به أن تكون الجملة

أو الجمل متسقة في مكوناتها اللفظية ومستقلة في معناها، بحيث ليس للموقوف عليه رابط بما بعده لفظا ولا معنى، وقد أطلق علماء القراءات عليه مصطلح الوقف التام، قال أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ)، "فالوقف التام هو الذي يحسن الوقوف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون ما يتعلق به"<sup>(33)</sup>،

كقوله تعالى: "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ" (سورة القصص، الآية: 68)، قال أبو

حيان: "ونص الزجاج، وعلي بن سليمان والنحاس على أن الوقف على قوله ويختار تام"<sup>(34)</sup>، وكذلك في قوله تعالى: "أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ" (سورة البقرة، الآية: 285) قال أبو حيان: "وجوزوا أن يكون الوقف تم عند قوله من ربه، ويكون المؤمنون مبتدأ، وكل مبتدأ ثان لشمول المؤمنين خاصة

وَأَمَّنَ بِاللَّهِ جُمْلَةً فِي مَوْضِعٍ خَبِرَ كُلَّ وَالْجُمْلَةُ مِنْ كُلِّ وَخَبْرُهُ فِي مَوْضِعٍ خَبِرَ  
 الْمُؤْمِنِينَ<sup>(35)</sup>، والظاهر أن أبا حيان رجح الوقف التام عند كلمة "يختار" بالنظر  
 إلى معنى ما الثانية التي تفيد النفي، فيصبح المعنى العام "ليس لهم الخيرة إنما  
 هي لله تعالى"<sup>(36)</sup>.

والوقف الثاني على كلمة رَبِّهِ لتمام المعنى، وتعبه بالابتداء،  
 فاستقلالية التركيب اللغوي وتمام المعنى، حدّدت موضع الوقف، والذي كان  
 سبباً لتوجيه المعنى، وبالتالي فالوقف آلية اتساقية صوتية تسهم في فهم النص  
 وتوجيه معناه.

## 2- الوقف وتعلقه بالمعنى اللاحق: يكون فيه التركيب اللغوي مستقلاً

من حيث مكوناته، ولكنه يرتبط بما بعده من حيث المعنى، وقد أطلق عليه  
 علماء القراءات مصطلح الوقف الكافي، وعرفه أبو عمر الداني (ت: 444هـ):  
 "الوقف الكافي هو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً، والابتداء بما بعده غير أن  
 الذي بعده متعلق به من جهة المعنى"<sup>(37)</sup>. دون اللفظ، نحو قوله تعالى: "هُوَ  
 الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُشَاهِدَاتٌ  
 فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ  
 وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا  
 وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" (سورة آل عمران، الآية: 06)

تتبع أبو حيان الوقف من عدمه الحاصل في الآية، وربطه بالمعنى الكلي  
 مرجحاً أحدهما، أما الأول: أن الوقف قد يكون على لفظ الجلالة لتمام الكلام  
 به، ويستأنف بعده بالواو، أو قد يكون "الراسخون في العلم" من تمام الجملة  
 الأولى عطف بالواو على لفظ الجلالة، وبالتالي يكون المعنى على الوقف  
 والاستئناف أن الله استأنف بعمله تأويل المتشابه، وهو محصور به تعالى وهو  
 قول عائشة وابن عباس وابن مسعود<sup>(38)</sup>.

والثاني: المعنى عند العطف فالراسخون في العلم يشاركون الله بالعلم وبالتأويل، والراسخون معطوف على لفظ الجلالة، وجملة "يقولون" حال منهم، أنّ قائلين، وهي خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم، وقال به جعفر بن الزبير والزمخشري<sup>(39)</sup>.

ويبدو أنّ أبا حيان رجح المعنى الأول انطلاقاً من نزعته الظاهرية، ورد المعنى الثاني الذي لمس فيه النزعة العقلية (التأويل العقلي) من خلال تعقيبات الزمخشري، فالوقف أحدث تغييراً في المعنى حسب النزعة المذهبية.

3- الوقف وتعلقه باللفظ اللاحق: يكون فيه التركيب اللغوي مرتبطاً بالتركيب اللاحق لفظاً ومعنى، وقد أطلق عليه علماء القراءات مصطلح الوقف الحسن، قال أبو عمرو الداني: "واعلم أنّ الوقف الحسن هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً."<sup>(40)</sup> كقوله تعالى: "وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ" (سورة التحريم، الآية: 04)، قال أبو حيان: "والأحسن الوقف على قوله موله، ويكون "وجبريل" مبتدأ، وما بعده معطوف عليه، والخبر ظهير فيكون ابتداء الجملة بجبريل وهو أمين وحي الله واختتامه بالملائكة... فعلى هذا جبريل داخل في الظهراء لا في الولاية، ويختص الرسول بأنّ الله هو موله"<sup>(41)</sup>، فالوقف أدخل جبريل ضمن الظهراء، وأدخل الرسول - ﷺ - في الولاية.

4- الوقف وانفصال طرفي الموقوف عليه (لفظاً ومعنى): ويكون ما جاء فيه التركيب ناقصاً لفظاً وبالضرورة غير تام المعنى بل قد يكون المعنى معه فاسداً، واصطلح عليه علماء القراءات بالوقف القبّيح، قال السيوطي: "القبّيح هو الذي لا يفهم منه المراد ك"الحمد" وأقبح منه الوقف على "لقد كفر الذين قالوا"، ويبتدئ "إنّ الله هو المسيح" لأن المعنى بهذا مستحيل بهذا الابتداء، ومن تعمده، وقصد معناه فقد كفر"<sup>(42)</sup>. فالوقف القبّيح يحدث خلل وزعزعة في

التركيب اللغوي لفظا ومعنى، لأنه يوهم غير المعنى المراد بسبب الانقطاع اللفظي والمعنوي بين طرفي الموقف عليه، أي عدم تمام التركيب اللغوي، ومن ثمّ خلوه من المعنى.

لقد أدرك أبو حيان الأثر الذي يحدثه الوقف المجزأ للبنية اللغوية، حيث تعرض له بالتحليل والمناقشة والنقد، ففي قوله تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ" (سورة الروم، الآية: 47)، قال أبو حيان: "و في قوله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)، تبشير للرسول وأمه بالنصر والظفر... وفي لفظ (حقا) مبالغة في التحتم وتكريم للمؤمنين... والظاهر أن (حقا) خبر كان (ونصر المؤمنين) اسم، وأخر لكونه ما تعلق به فاصلة للاهتمام بالجزء إذ هو محط الفائدة، وقال ابن عطية: وقف بعض القراء على (حقا)، وجعله من الكلام المتقدم، ثم استأنف جملة من قوله (علينا نصر المؤمنين)، وهذا قول ضعيف، لأنه لم يدر قدر ما عرضه من نظم الآية... وقد يوقف حقا، ومعناه كان الانتقام منهم حقا، ثم يبتدأ (علينا نصر المؤمنين).. وفي الوقف (كان حقا) بيان أنّه لم يكن الانتقام ظلما بل عدلا"<sup>(43)</sup>.

والناظر إلى قول أبي حيان، يلحظ أنّه وجه معنى الوقف؛ إمّا على كلمة حقا، وبالتالي حدوث انقطاع وتفكك في البنية اللغوية بين (وكان حقا) و(علينا نصر المؤمنين) فيكون الانتقام وإمّا على جملة (وكان حقا)، وبالتالي يكون الانتقام عدلا وليس ظلما.

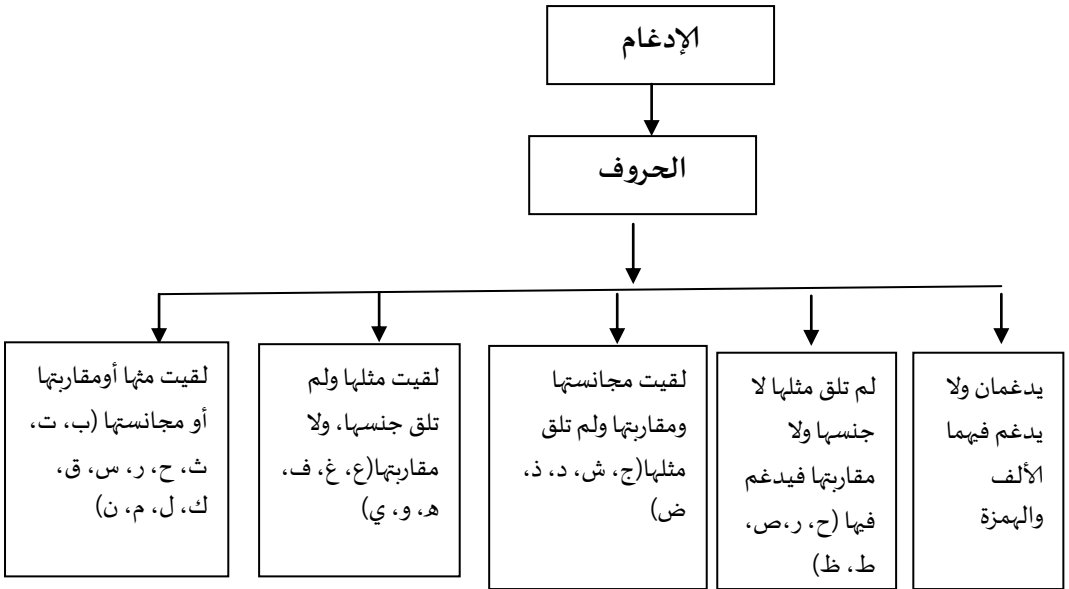
فالوقف، قد يجعل من التركيب بنية متماسكة أو مفككة لفظيا أو معنويا من خلال ارتكاز القارئ، وفهم السامع، ويتضح جليا عند تفسيره لقوله تعالى: "إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ" (سورة يونس، الآية: 24)، الوقف على قوله "فاختلط" لا يجوز، وخاصة في القرآن، لأنه تفكيك للكلام المتصل الصحيح

المعنى، الفصيح اللَّفظ وذهاب إلى اللَّغز والتعقيد، والمعنى الضعيف، ألا ترى أنّه لو صرح بإظهار الاسم الذي الضمير في كناية عنه، فقليل: بالاختلاط نبات الأرض، أو بالماء نبات الأرض لم يكذب ينعد كلاماً من مبتدأ وخبر، لضعف هذا الإسناد، وقربه من عدم الإفادة<sup>(44)</sup>.

فأبو حيان أكد أنّ الوقف على (فاختلط) يؤدي إلى تفكيك البنية التركيبية لضعف الاستناد (تعلق المبتدأ أو الخبر) ولفساد المعنى، وهذا يشير إلى أنّ تخير مواضع الوقف، ينطلق من توخي المعنى واللّفظ معاً، أي من تعلقهما. ونخلص إلى أنّ الوقف قد ارتكز عند أبي حيان على العلاقة بين طرفي الموقوف عليه لفظاً ومعنى، وما يُحدثه من انقطاع أو ارتباط في البنية التركيبية، والذي ينظر إليه كآلية اتساقية صوتية، تحقق استمرارية التركيب اللَّفظي والمعنوي للنص أولاً وبين القارئ والسامع ثانياً.

ج- الإدغام: أداء صوتي، ينشأ عن التآثر المتبادل بين صوتين متجاورين ومتمائلين مخرجا وصفة، فهو "تقريب الصوت من الصوت بحيث ينتقل إلى أحدهما صفة من الآخر"<sup>(45)</sup>، فالإدغام يلتقي فيه الحرف المدغم والمدغم فيه بهدف الانسجام بين الأصوات المكونة للكلمة أو الكلم "تيسيراً لعملية النطق، واقتصاداً في الجهد العضلي، لأنّ الانسجام الصوتي يتطلبه أن تتسق الأصوات بعضها مع بعض بحيث إذا تجاوز صوتان متنافران يؤدي نطقهما إلى حدوث الثقل، فلا بد من تغيير أحدهما ليسهل نطق الكلمة فمن العسير على اللسان أن ينطق بصوتين متجاورين، وهما من طبيعتين مختلفتي النطق؛ لما في ذلك من جهد على أعضاء النطق"<sup>(46)</sup>.

ومن هذا المنطلق، فإنّ تحقيق الاتساق والانسجام الصوتي للكلمة العربية أو الكلم، يرفض النظام الصوتي توالي صوتين من مخرج واحد أو قريب جداً في المخرج أو الصفة<sup>(47)</sup>، وهذا ما يوضحه ابن الجزري (ت: 833 هـ) في كتابه النشر في القراءات العشر<sup>(48)</sup>



فابن الجزري، أقام دراسته على مخارج الأصوات وصفاتها من حيث القرب والتجانس والتماثل وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الإدغام إلى نوعين:

1- إدغام المتماثلين: نحو: قطع، وسكر، شدّ.

2- إدغام المتقاربين: ويحدث عند تجاور صامتين متحدين في المخرج،

ولكنهما مختلفان في الصفة، أو يكونان متقاربين في المخرج، ومثل هذا التجاوز

للأصوات ثقيل على اللسان في أثناء النطق به، فيتجاذب الصوتان أحدهما

الآخر ليتحدا في المخرج والصفة ويصبحا متماثلين فيدغما<sup>(49)</sup>.

والتصور نفسه، نجده عند أبي حيان لكن بعد أن تعرض له في حديثه

عن تواتر القراءات العشر من خلال ردّه اللادع لابن الحاجب الذي جعله من

قبيل الأداء<sup>(50)</sup> أي أنه غير متواتر عند القراء العشرة، وهذا ما فنده بالحجة

والبرهان من خلال مناقشة أقوال العلماء.

وتجدر الإشارة إلى أنّ أبا حيان نظر إلى القراءات متواترها وشاذها،

وهذا ما خلق تنوعا في الأداء القرائي للقراء، وبحسب هذا التوجه نجد مواضع

حصل فيها إدغام في شاذ القراءة، وفي القراءة المتواترة تُقَرُّ بفكه أو العكس، وهذا كله وفق طرائق تخريج وتوجيه المعنى.

ضمن هذا المرتكز الأخير، وبالنظر إلى نوعي الإدغام، نذكر بعض النماذج كسبيل لبيان أنّ الإدغام آلية اتساقية صوتية تساهم في الانسجام الصوتي للكلمة والكلم، منها قوله تعالى: "...مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا" (سورة يونس، الآية: 24) قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور وازينت وأصله وتزينت فأدغمت التاء في الزاي، فاجتلبت همزة الوصل لضرورة تسكين الزاي عند الإدغام"<sup>(51)</sup>، وكذا قوله تعالى: "وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبَطِّئَنَّ" (سورة النساء، الآية: 72)، "فقرأ مجاهد ليُبَطِّئَنَّ بالتخفيف، وقرأ الجمهور (ليُبَطِّئَنَّ) بالتشديد والقراءتان يحتمل أن يكون الفعل فمهما لازما لأنهم يقولون: أبطأ وبطأ في معنى بَطُؤْ، ويحتمل أن يكون كذلك متعديا بالهمزة والتضعيف من بَطُؤْ، فعلى اللزوم المعنى: أنه يتثاقل ويثبط عن الخروج للجهاد، وعلى التعدي يكون قد ثبط غيره وأشار له بالقعود"<sup>(52)</sup>. ويتضح من قوله أنه أقام علاقة بين الإدغام والمعنى التركيبي، وهذا يظهر مدى فاعليه الإدغام كآلية اتساقية في الانسجام الصوتي، ومن ذلك قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ" (سورة يوسف، الآية: 45)، قال أبو حيان: "وادّكر أي تذكر ما سبق له مع يوسف (بعد أمة)، أي مدة، والجملة من قوله: وادّكر حالية، وأصله وادّكر، أبدلت التاء دالا وأدغمت الذال فيها، فصار: ادّكر وهي قراءة الجمهور، وقرأ الحسن (وادّكر) بإبدال التاء ذالا، وإدغام الذال فيها"<sup>(53)</sup>، فالإدغام أحدث خفة وأزال الثقل من خلال التقارب بين التاء والذال، وخفة الدال على الذال، وكذلك قوله تعالى: "ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ" (سورة الكهف، الآية: 22)، قال أبو حيان: "قرأ ابن محيصن "ثَلَاثٌ" بإدغام التاء في التاء، وحسن ذلك لقرب مخرجهما وكونهما مهموسين، لأنّ الساكن الذي قبل التاء من حروف اللين فحسن ذلك"<sup>(54)</sup>. فالهمس وقرب



المخرج بين التاء والتاء أجاز الإدغام، وهذه قراءة شاذة، وكذا إدغام الظاء في التاء في قوله تعالى: "قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ" (سورة الشعراء، الآية:136)، قال أبو حيان: "وينبغي أن يكون إخفاء لأنّ الظاء مجهورة مطبقة، والتاء مهموسة منفتحة، فالظاء أقوى من التاء، وَالْإِدْغَامُ إِنَّمَا يَحْسُنُ فِي الْمُتَمَائِلِينَ، أَوْ فِي الْمُتَقَارِبِينَ، إِذَا كَانَ الْأَوَّلُ أَنْقَصَ مِنَ الثَّانِي، وَأَمَّا إِدْغَامُ الْأَقْوَى فِي الْأَضْعَفِ، فَلَا يَحْسَنُ. عَلَى أَنَّهُ قَدْ جَاءَ مِنْ ذَلِكَ أَشْيَاءٌ فِي الْقُرْآنِ بِنَقْلِ الثَّقَاتِ فَوَجِبَ قَبُولُهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَهَا أَفْصَحَ وَأَقْبَسَ"<sup>(55)</sup>. فهو يؤكد أنّ الإدغام يقع في المثاليين أو في المتقاربين إذا كان المدغم أقوى من المدغم فيه.

مما سبق، يتبين لنا أنّ الإدغام آلية اتساقية تهدف إلى الخفة في النطق، ومنع الثقل لتحقيق الانسجام الصوتي في بنية الكلمة، وقد تعرض له أبو حيان من خلال اختلاف القراءات تواترها وشاذها في ظل تنوع اللهجات.

د- التنغيم: ظاهرة صوتية تشير فيها اللغة إلى موقف المرسل وحالته

النفسية بالارتكاز التنغيبي على الملفوظ-المنطوق- ليتحول معناه من معنى الخبر مثلا إلى معنى الإنشاء أو العكس، فهو يعبر عن "الخاصية الصوتية الجامعة التي تلف المنطوق بأجمعه، وتتحلل عناصره المكونة له وتكسبه تلويها موسيقيا معينا حسب مبناه ومعناه، وحسب مقاصده التعبيرية، وفقا لسياق الحال أوالمقام"<sup>(56)</sup>، من خلال قلب المعنى تماما إلى معنى آخر، "فيتحدد المعنى العام في التركيب، وهو يتجاوز المقطع والكلمة فتحمله الجملة كاملة"<sup>(57)</sup>.

وهكذا يتضح أنّ التنغيم يؤثر في الملفوظ، فيوجه معناه حسب مقاصده التعبيرية، وبذلك فهو يبني علاقة بين المتكلم في بيان مراده، وبين السامع في توجيه معناه هذا من جهة، ومن جهة أخرى باعتبار أنّ التنغيم يفرض على الملفوظ معنى جديد، فهذا المعنى يُحدث تحولا في المعنى العام في التركيب يتجاوز الجملة ككل بغية إحداث توازن دلالي لها.

وهذا يعني أن التنغيم أكسب الملفوظ أو الجملة أو النص اتساقا دلاليا من خلال المعنى الذي فرضه عليه.

الاتساق الدلالي الذي يحدثه التنغيم يتوزع على مستويين:

1- المستوى التعبيري.

2- المستوى النحوي.

فأما المستوى التعبيري، فهو المستوى الذي تؤدي من خلاله المعاني

البلاغية، فالتعجب مثلا، والاندھاش والعرض والتحضيض، والاحتقار، والاستعطاف، وغيرها كثير من المعاني، قد نستغني فيها عن الحروف التي تؤدي المعنى وتغنينا عن ذلك، فترانا نستفهم دون وجود الحرف، ونتعجب دون وجود الأداة، وغير ذلك من المعاني، والواجب أن يراعي المتكلم ذلك النغم والإفهم كلامه خطأ<sup>(58)</sup>. وبالنظر إلى تفسير البحر المحيط يمكن عرض مظاهره فيما يأتي:

- من الإقرار إلى الإنكار: في قوله تعالى: "وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ

بَنِي إِسْرَائِيلَ" (سورة الشعراء، الآية: 22) فالظاهر من الآية "أَنَّ هذا الكلام إقرار

من موسى عليه السلام بالنعمة كأنه يقول وتربيتك لي نعمة عليّ من حيث

عبدت غيري واستفهام حذف أذاته قبل الواو يراد به الإنكار وحذفت لدلالة

المعنى عليه"<sup>(59)</sup>، فالتنغيم حول المراد من الآية من الإقرار بالنعمة إلى معنى

الإنكار والذي يفهم من خلال سياق الآية وعلاقتها بما قبلها قوله تعالى: "قَالَ

أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا" (سورة الشعراء، الآية: 18)

- من الإخبار إلى التوبيخ والتقريع: في قوله تعالى: "فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا

عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ، يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ" (سورة

النحل، الآية: 82-83)، قال أبو حيان: "أخبرهم على سبيل التقريع والتوبيخ،

بأنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وعرفانهم للنعم الذي عدت عليهم حيث

يعترفون بها وأنها منه تعالى، وإنكارهم لها حيث يعبدون غير الله"<sup>(60)</sup>.

فالأية جاءت على سبيل الخبر، والتنغيم أبان معنى التقرير والتوبيخ. من الإخبار إلى التهديد: في قوله تعالى: "قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ، قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ" (سورة سبأ، الآية: 25-26)، قال أبو حيان: "قل يجمع بيننا ربنا أي يوم القيامة، ثم يفتح: أن يحكم بالحق بالعدل، فيدخل المؤمنين الجنة والكفار النار (وهو الفتاح) الحكم الفاصل، العليم بأعمال العباد، والفتاح العليم، وهذا فيه تهديد وتوبيخ تقول لمن نصحته وخوفته، فلم يقبل سترى عاقبة الأمر"<sup>(61)</sup>. فتحول الخبر إلى مقصد التهديد والتوبيخ فهم من خلال الارتكاز على ملفوظ الفتاح العليم وربطه بالسياق.

من الخبر إلى الدعاء: في قوله تعالى: "فَرَادَهُمُ اللَّهُ

مَرَضًا" (سورة البقرة، الآية: 10) "خبراً، وأما إذا كان دعاء فلا، بل يحتمل أن يكون الدعاء حَقِيقَةً فَيَكُونُ دُعَاءً بوقوع زيادة المرض، أو مجازاً فلا تقصد به الإجابة لكون المدعو به واقعا بل المراد به السب واللعن والنقص<sup>(62)</sup>. فالنماذج السابقة، أخرجت الخبر عن معناه الأصلي الحقيقي، وهو التقرير إلى الإنكار أو التوبيخ أو التقرير أو التهديد أو الدعاء وغيرها من المعاني، وذلك من خلال آية التنغيم وعلاقتها بالسياق النصي وبالمثل، قد يخرج الإنشاء عن معناه الأصلي إلى مقصد آخر: ومما وقع في تفسير البحر المحيط على سبيل المثال:

من الأمر إلى التحكم: كقوله تعالى: "بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" (سورة النساء، الآية: 138)، قال أبو حيان: "ومعنى بشر أخير، وجاء بلفظ بشر على سبيل التحكم لهم نحو قوله "فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (سورة آل عمران، الآية: 21)، أي القائم لهم مقام البشارة والإخبار بالعذاب... وجاءت البشارة هنا مصرّحاً بقيدها، فلذلك حسن استعمالها في المكروه ومتى جاءت مطلقة، فإنما عرفها في المحبوب، وفي هذه الآية دليل على أنّ التي قبلها إنّما هي

في المنافقين" (63). ونلاحظ أنه ربط توجيه معنى الأمر بالآية التي قبلها، بعد أن فرق بين البشارة في المكروه والمحبوب

-من الاستفهام إلى الاستهزاء: كقوله تعالى: "أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَحَدَهُ" (سورة الأعراف، الآية:70)، قال أبوحيان: "والمجيء هنا يحتمل أن يكون حقيقة بكونه متغيبا عن قومه، منفردا بعبادة ربه، ثم أرسله الله إليهم فجاءهم من مكان متغيبه، ويحتمل أن يكون قولهم على سبيل الاستهزاء، لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة" (64).

-من الاستفهام إلى الإنكار والتعجب: قد يخرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى الإنكار والتعجب، كما في قوله تعالى: "أَوَلَمْ أَصَابْتَكُمْ مُمْصِبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَيْ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (سورة آل عمران، الآية:165)، قال أبو حيان: "الهزمة للاستفهام الذي معناه الإنكار... (وأنى هذا) جملة من مبتدأ وخبر، وهي في موضع نصب أنها معمولة، لقوله (قلتم)، قالوا ذلك على سبيل التعجب والإنكار، لما أصابهم، والمعنى: كيف أصابنا هذا ونحن نقاتل أعداء الله، وقد وعدنا بالنصر وإمداد الملائكة فاستفهموا على سبيل ذلك" (65).

ويبدو أنّ أبا حيان رصد تحولات الخبر والإنشاء عن معناهما الأصلي الظاهر على السطح إلى مقاصد أخرى كالإنكار والتهكم والتوبيخ والتقرير والاستهزاء وغيرها أي بالانتقال من البنية السطحية إلى البنية العميقة من خلال توجيه المعنى بتأثير التنغيم.

أمّا المستوى النحوي: فمن خلاله يتم فهم التركيب اللغوي إذ بدونه يحدث إغلاق الفهم أصلا أو فهم التركيب على غير المراد من المعنى (66). وبمعنى آخر يبرز هذا المستوى في تحولات البنية التركيبية وتأثيرها الدلالي على مستوى النص.

وإذا رُمنا بالبحث عن هذا المستوى في تفسير البحر المحيط، نرصد الكثير من الأنماط التركيبية، واختلاف طرائق توجيهه وتوزيعها داخل النص منها:

-التوجيه بين الاستفهام أو النفي: وذلك من خلال تحول الأداة إلى أكثر من دلالة، وتحتمل أكثر من معنى نحو قوله تعالى: "مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ" (سورة الحاقة، الآية:28)، يجوز أن يكون نفيا محضا، أخبر بذلك متأسفا على ماله حيث لم ينفعه ويجوز أن يكون استفهاما، وبخ به نفسه وقررها عليه<sup>(67)</sup>. فالآية السابقة يمكن أن تؤدي بنمطين تنغييمين يتوجه بهما المعنى، ويتميز دور "ما" تبعا لذلك، إمَّا بالاستفهام الذي حمل معنى التوبيخ، وإمَّا بالنفي الذي حمل معنى التأسف.

-التوجيه بين الخبر أو النداء: نحو قوله تعالى: "ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ" (سورة البقرة، الآية:85)، فجاءت تخريجات أبي حيان للآية على وجهين الأول: "وإنما أخبر عنه باسم الإشارة في اللفظ لا المعنى، وكأته قال: أنت الحاضر، وأنا الحاضر وهو الحاضر، والمقصود حيث المعنى الإخبار بالحال، ويدل على أنّ الجملة حال مجيئهم بالاسم المفرد منصوبا على الحال فيما قلنا من قولهم ها أنت ذا قائما ونحوه.

والثاني: على تقدير حرف نداء محذوف، وهؤلاء منادى، وهذا رأي الفراء الذي أجاز حذف حرف النداء وتابعه الزجاج بعدم الجواز عند البصريين<sup>(68)</sup>.

فاسم الإشارة هؤلاء حول النمط التركيبي من الخبر إلى الإنشاء المتمثل في النداء، فالخبر متعلق بالمبتدأ، والنداء أحدث فصلا بين المبتدأ (أنتم) والخبر (تقتلون)، وهذا يعني أنّ أثر التنغيم في توجيه النص القرآني لمعان مختلفة من خلال المستوى التعبيري والمستوى النحوي، يساهم في إحداث اتساق الجملة والتركيب النصي من خلال ربطه بالسياق العام للآية أو النص ككل.

نخلص من هذه الدراسة أنّ أبا حيان تتبع توجيه القراءات القرآنية، وما تُحدثه من تحولات في المعنى فوقف عند العديد من الظواهر الصوتية كالعلامة الإعرابية والوقف، والإدغام والتنغيم وغيرها، وذلك حرصاً منه على الكشف عن انتظام أصوات النص القرآني وتآلفها واتساقها وانسجامها.

**الإحالات:**

- <sup>1</sup>- الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى؛ 1413هـ-1993م. ج 1، ص: 109.
- <sup>2</sup>- م. س، ج 4، ص: 255.
- <sup>3</sup>- م. س، ج 4، ص: 256.
- <sup>4</sup>- م. س، ج 8، ص: 137.
- <sup>5</sup>- محمود اسماعيل، هناء. النحو القرآني في ضوء لسانيات النص. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى؛ 2012م، ص: 89.
- <sup>6</sup>- الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج 1، ص: 131.
- <sup>7</sup>- م. س، ج 1، ص: 131.
- <sup>8</sup>- ينظر: م. س، ج 6، ص: 241، 242.
- <sup>9</sup>- م. س، ج 5، ص: 464.
- <sup>10</sup>- ينظر: م. س، ج 1، ص: 312-318.
- <sup>11</sup>- م. س، ج 1، ص: 318.
- <sup>12</sup>- محمود إسماعيل، هناء. النحو القرآني في ضوء لسانيات النص. ص: 50.
- <sup>13</sup>- تمام، حسان. القرائن النحوية وإطراح العامل والإعرابيين التقديري والمحلي. مجلة اللسان العربي، المغرب، 1384 هـ- 1974 م، م 11، ج 1، ص: 47.
- <sup>14</sup>- ينظر: الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج 1، ص: 470.
- <sup>15</sup>- م. س، ج 1، ص: 471.
- <sup>16</sup>- ينظر: م. س، ج 1، ص: 584.
- <sup>17</sup>- م. س، ج 1، ص: 584.
- <sup>18</sup>- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق وتعليق: محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة- مصر. الطبعة السابعة. 2000 ج 1، ص: 336.
- <sup>19</sup>- الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج 1، ص: 584.

- <sup>20</sup> - ينظر: حسان، تمام. الأصول- دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب- . عالم الكتب، القاهرة- مصر، 1420هـ-2000م. ص: 290.
- <sup>21</sup> - الصغير، محمد حسين علي. أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط. دكتوراه، جامعة الكوفة، العراق، 1431هـ-2010م، ص: 63.
- <sup>22</sup> - السامرائي، فاضل. معاني النحو. دار الفكر، عمان- الأردن، الطبعة الأولى: 1420هـ-2000م، ج3، ص: 194، 193.
- <sup>23</sup> - قال أبو حيان: "النعته في المعرفة ان كان لمدح، أو ذم، أو ترحم، جاز فيه القطع الى على اضمار مبتدأ واجب الحذف، والى النصب على اضمار فعل مناسب واجب الحذف" ينظر: الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. ارتشاق الضرب من لسان العرب. تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م. ج4، ص: 1926.
- <sup>24</sup> - النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود. تفسير النسفي- مدارك التنزيل وحقائق التأويل-. تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م، ج1، ص: 31.
- <sup>25</sup> - الكرعوي، سعاد كريدي. العوامل اللفظية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي- دراسة نحوية-. ص: 121.
- <sup>26</sup> - الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج3، ص: 471.
- <sup>27</sup> - م. س، ج8، ص: 426.
- <sup>28</sup> - م. س، ينظر: ج8، ص: 426.
- <sup>29</sup> - م. س. ج7، ص: 445.
- <sup>30</sup> - الأستريادي، الرضي محمد بن الحسن. شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزراف، ومحمد معي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان: 1402هـ-1982م، ج2، ص: 271.
- <sup>31</sup> - الحربي، محمد خليل. الوقف في العربية. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: 2006م، ص: 10.
- <sup>32</sup> - الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج1، ص: 133.
- <sup>33</sup> - الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل. تحقيق: معي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق- سوريا: 1390هـ-1971م، ص: 149.
- <sup>34</sup> - الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج7، ص: 124.
- <sup>35</sup> - م. س، ج2، ص: 378، 379.
- <sup>36</sup> - م. س، ج7، ص: 124.

- <sup>37</sup> - الداني، أبو عمر. عثمان بن سعيد بن عثمان. المكتفي في الوقف والابتداء. تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة، طنطا، القاهرة-مصر، 1427هـ-2006م، ص: 21.
- <sup>38</sup> - ينظر: الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج 2، ص: 400.
- <sup>39</sup> - ينظر: م. س، ج 2، ص: 400.
- <sup>40</sup> - الداني، أبو عمر. عثمان بن سعيد بن عثمان. المكتفي في الوقف والابتداء. ص: 22.
- <sup>41</sup> - الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج 8، ص: 286، 287.
- <sup>42</sup> - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية. ج 2، ص: 545.
- <sup>43</sup> - الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج 7، ص: 173.
- <sup>44</sup> - م. س، ج 5، ص: 144.
- <sup>45</sup> - شاهين، عبد الصبور. اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي- أبو عمرو بن العلاء-. مكتبة الخانجي القاهرة- مصر، الطبعة الأولى؛ 1408 هـ- 1987 م، ص: 124.
- <sup>46</sup> - حامد هلال، عبد الغفار. أصوات اللغة العربية. مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، الطبعة الثالثة؛ 1416 هـ- 1996 م، ص: 230.
- <sup>47</sup> - ينظر: مختار، أحمد عمر. دراسة الصوت اللغوي. القاهرة-مصر، الطبعة الثالثة؛ 1405 هـ- 1985 م، ص: 387.
- <sup>48</sup> - ينظر: ابن الجزري. شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تصحيح: محمد علي الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1980 م، ج 1، ص: 280. نقلا عن: ايكر، خديجة. المدخل المعرفي واللغوي للقرآن الكريم. ص: 169.
- <sup>49</sup> - ينظر: مناف، مهدي محمد. علم الأصوات اللغوية. عالم الكتب، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى؛ 1998 م، ص: 140.
- <sup>50</sup> - ينظر: الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج 1، ص: 81.
- <sup>51</sup> - م. س، ج 5، ص: 145.
- <sup>52</sup> - م. س، ج 3، ص: 302، 303.
- <sup>53</sup> - م. س، ج 5، ص: 313.
- <sup>54</sup> - م. س، ج 6، ص: 109.
- <sup>55</sup> - م. س، ج 7، ص: 32.
- <sup>56</sup> - بشر، كمال. علم الأصوات. دار غريب، القاهرة-مصر، 2000 م، ص: 531.
- <sup>57</sup> - الأزهر، الزناد. دروس البلاغة العربية- نحو رؤية جديدة-. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى؛ 1992 م، ص: 109.
- <sup>58</sup> - ينظر: صائل، رشدي شديد. عناصر تحقيق الدلالة في العربية. الأهلية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، الطبعة الأولى؛ 2004 م، ص: 90.



- 
- <sup>59</sup> - الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج 7، ص: 11.
- <sup>60</sup> - م. س، ج 5، ص: 508.
- <sup>61</sup> - م. س، ج 7، ص: 268.
- <sup>62</sup> - ينظر: م. س، ج 1، ص: 188.
- <sup>63</sup> - م. س، ج 3، ص: 388، 389.
- <sup>64</sup> - م. س، ج 4، ص: 328.
- <sup>65</sup> - م. س، ج 3، ص: 111.
- <sup>66</sup> - ينظر: صائل، رشدي شديد. عناصر تحقيق الدلالة في العربية. ص: 90.
- <sup>67</sup> - ينظر: الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج 8، ص: 319.
- <sup>68</sup> - م. س، ج 1، ص: 458.